الكولا وأخواتها

علي الكامل



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : الكولا وأخواتها

المؤلف : علي الكامل

رقم الايداع / ٢٠١٦/٤٩٨٥

الترقيم الدولى / ٩٧٨-٩٧٧-٦٥٦٥-٠٧-٤

الطبعة الاولى ٢٠١٦

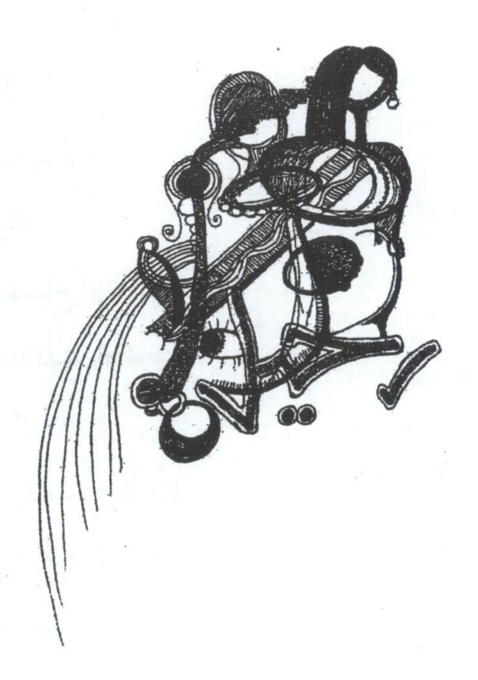


الإهداء

إلى شقيقي المؤيد محمد الكامل

الذي غاب عن أعيننا وأقام في قلوبنا

رحيل



جاء في رسالتها الأخيرة(يجب أن نتعلم ألا نموت بل نحيا ونبقى ونحب ونمارس الحياة كما البحر ....) لو كانت هنا لضممتها إلى صدري بكل قوتي (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى) لكنها لا تنتظر النوايا المسافرة عبر البريد والأحضان على مرمى حجر .

صرت وحيدا كما بدأت ما حزنت لكنني استدعيت ما عناه الطيب صالح حين قال على لسان مريود وهو يودع مريوم (وأنا أحس في قلبي بفجيعة مثل الفرح) (*) .

ياصغيرتي نحن لا نؤجل الحياة

نحتمل الفراق

نحلم بالبعيد أو نراه

هي الحياة

نحلم بالصباح أو نراه

هي الحياة نشبع أو نجوع

هي الحياة

أليست الشمس في البعيد

كما نظن أو نرى !!!

لكنها بداخلي ...هنا

فكيف لا يكون البحر

ياصغيرتي هنا ؟؟؟؟

الم يك البحر قاسيا وظالما وهو يمارس الحياة ، كان كريما .. سخيا ..

(*) من رواية الطيب صالح «مريود».

لكنا أكرم منه لأننا نعطي كل ما نملك ..... هذا مالم يفعله البحر ... هذا مالن يفعله البحر......

(فلنتعلم أن نحيا ونحيا ونبقى ونحب ونمارس الحياة كما الشجر ...)

إسمعي معي محجوب شريف (*) في صدق وصفاء نادرين يتغنى

(وكم حديقة تحطمت

نمت على حطامها حديقة

وكم مكان نخلة هوت

علت نواتها وزادت ارتفاعا) (*)

أليس هذا رائعا ؟؟

أليس هذا رائعا صغيرتي

أمستحيل أن نكون ما نقول ؟؟

ها هو الشجر

لا يبرح المكان

لكنه بكل الأمكنة

(*) الشاعر السوداني المعروف.

(*) من قصيدة الشاعر محجوب شريف، رسالة الي الشعب السوداني .. بعد ردة يوليو ١٩٧١ .

يحيا ويهب الحياة

أليس هذا رائعا

صغيرتي ؟؟

....

أنا الآن سعيد

لأنني استطعت أن أقول

وأنها هناك لم تعد وحيدة

....

عندما افترقنا هناك كان صيفا شمسه قاسية

..... عندما بلغتني رسالتها هنا كان شتاء ماطرا . دثرت أشواقي وانتظرت ، حين حل الصيف هممت بالرحيل فقلت لأهل المال والسلطان إني في عونكم أطمع قال الفقراء أيفوتنا فضل المشاركة في عونك ...؟؟؟ قلت لا ......

قال أهل المال ماذا تطلب ؟

قلت : حذاء

قال الفقراء ماذا تطلب ؟

قلت : عصا

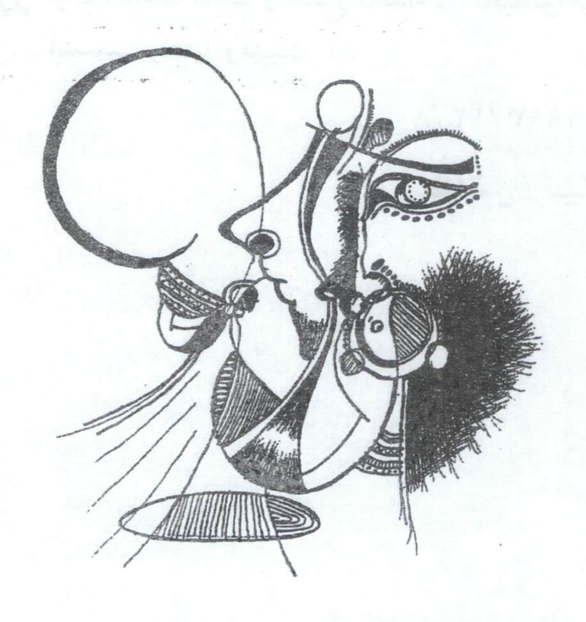
قال الذين بين هؤلاء وهؤلاء ألا تحتاج شيئا آخر ؟؟

قلت : بلى ... أرحل وحيدا لا أنيس لي طريقي طويلة ولا مطية لي .. فعلموني كيف أحادث العصا وأخادع الحذاء ... فانفضوا من حولي ساخرين... ابتسمت راضيا ومشيت ....

٨/ ١٢/ ١٩٩٣ م

طرابلس / ليبيا

يالها من فتاة .. يالها من حكاية



دائما كان لرسائلها طعم الحلم وفيها مرأى أفق بعيد أنا توق لقائه... بها ملمس الجذع الطافي ليد الغريق ... ذلك الشيء العزيز الجميل قد نقابله صدفة ويسري فينا كما الماء في جذع النبتة ... رويدا ... رويدا .... فتنمو وتثمر وقد تنطفئ قبل الأوان....

لأن المطر ... لأن المطر..

وقبل أن أكمل أوحيَّ إلىَّ أن استمع

أرهفت السمع

فكان حفيف الشجر ....

نوديَّ عليَّ أن استمع

أرهفت السمع

فكانت دقات قلبي

تصيح بي .... أن استمع

أرهفت السمع ... فكان الماء يغلي صنعت كوبا من الشاي شربته وأنا أعيد قراءة الرسالة

يالها من فتاة تفلت من أحضانك كما يفلت منك النص ... لا تفقده ولا تملكه

آه لو أكتب من أجلك ....

آه لو أكتب أغنية

أو مرثية

لو أكتب تهنئة

ماذا أكتب ؟؟

ماذا أكتب ؟؟

لفتاة يعشقها البحر

يغسل عنها الأحزان

وأنا ألقي أحزاني

على الأسفلت

تحت إطارات السيارات المسرعة وأنا أسخر من سائقيها لأنهم لا يدركون أنهم يقتلون أحزاني نيابة عني ... ويسخرون مني لاعتقادهم أني مجنون يسير بلا هدى .. يحلق في إطارات السيارات بغباء ... وأنا لا أبالي أسعى في الأرض أبتغي شيئا وأتقي أشياء وأعود خاليا من أحزاني ممتلئا بتعبي ... أضاجعه إذ لا مفر .... أنهض من نومي متسربلا بالأحلام ... أتأبط صبري وأخرج متحفزا ... حذرا ووسط الجموع يسقط حذري ... أدخل يدي في جيبي أبحث عن منديل أجفف به العرق ... لا أجد ... أدخلها في جيب آخر فأجد قلبي ... أجفف به وجهي وألقيه من نافذة الحافلة ... تنبهني عجوز جلست إلى جواري .

قلبك ياولدي

ألحق ...

قد يدهسه

شخص عابر

يخطفه كلب

يسرقه قصاب

أو تلقي الشرطة

عليه القبض ....

من مكاني نهضت مذعورا وطلبت من السائق أن يتوقف .. نزلت مسرعا ووجدته على رمل الطريق سالما آمنا .... نابضا ووضعته في جيبي وواصلت السير في اتجاه المدينة.... كنت أدندن بأغنية قديمة احتشد الشعراء في حلقي .. كاد يهلكني العطش ... أخرجت القلب المبلل بالعرق عصرته ورطبّت شفتيّ وحلقي ... اقتربت من قلب المدينة فاستعدت حذري ، بكلتا يدي أمسكت القلب ... بنظرة فاحصة تحسست الأسفلت... كما كان وجدته صلدا وإطارات السيارات لم تزل تمارس عبثها به ... سرا ابتسمت وشرعَتْ أحزاني في الانتحار ....

ذرعت المدينة شرقا وغربا ... شمالا وجنوبا وتعب الطرقات كلها يهجرها ويتعلق بخطوي جوع البطون كلها يهجرها ويلتصق بمعدتي الخاوية .. هكذا مضى النهار وأطرافي ياكل منها التعب ومعدتي تلتصق ببعضها حتى غدوت جمجمة فوق كتف وبطن مسطحه ... والابتسامة تفتضح ... تنبت في الشفتين ابتسامة بكر ... خجلي ... ظلت تنمو ...

وأنا أزحف

تشب عن الطوق

وأنا أزحف

تنفجر ضحكا

وأنا أتدحرج

وقبيل المغيب

كنت قهقهة تنبعث من جمجمة تتدحرج فوق الأسفلت

أسفلت يتدحرج من جمجمة تنبعث من الصمت ...

صمت يتدحرج من أفواه الناس

على الطرقات

فيضج الأسفلت

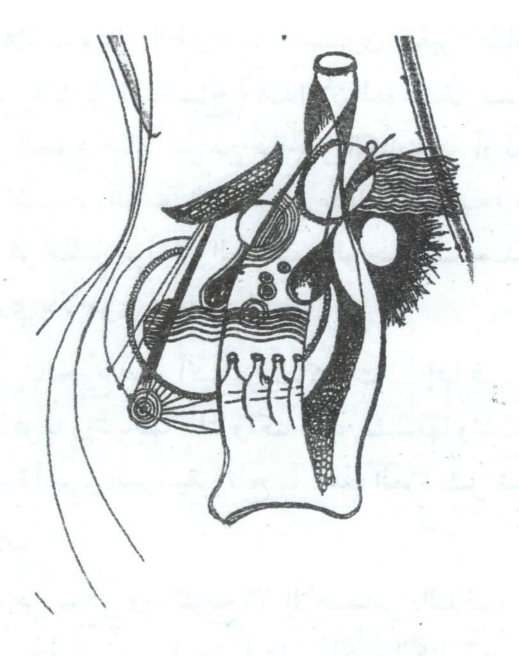
تموت الأصوات الهمجية ...

وفي كل الجهات رددوا بفرح غامر... يالها من حكاية ... يالها من حكاية..

٢٠/٢١/١/١٩٩٤

طرابلس / ليبيا

الكولا وأخواتها



مثل البداية وتداخل الفصول ... صمت الأشياء والفوضى التي تجمعها أمام على الطاولة ... كوب شاي به بقية ... مطفأة السجاير وبقايا... مقص صغير..علبة سجائر فارغة شرائط كاسيت ... قلم فوق مرآه ذات إطار بلاستيكي أخضر ... أوراق ملقاة بلا ترتيب ، ساعة يد لا تعمل وأخرى تشير للسابعة والربع وبضع ثوان ... قطعة حلوى .. اقراص (بنادول) – صحيفة قديمة .. ديوان شعر.. لكن

الموسيقى تعطِّر الصمت وتحاول ترتيب الفوضى ...

مثل التراتيل ...

مثل الصلاة ... وعلى الطاولة أيضا صندوق صغير (طباشير طبي - إنتاج مصنع طباشير المصباح) هذا لأن الموسيقى بدأت تخفت والإحساس بالجوع صار اكبر من هاجس الكتابة ... أو لعل معين الكلمات قد نضب. أتوسل الدفء من مدفأة كهربائية (صنعت في الصين) أتذكَّر تحلقنا حول نار الحطب ، الواحد منا يمد يدا نحو اللهب ويداري بالأخرى عينيه من الدخان ....

الإحساس بالجوع صار أكبر من الذكريات ... إنها غريزة علنية لا نخجل من ذكرها وإشباعها علنا ولكنا حين نشبعها وتشبعنا نحس بالخجل ، مرة أخرى الموسيقى تلح .... هذه المرة مثل شيء عزيز كان في الماضي ....

الكائن الحي يسعى ويستريح؟؟ الإحساس بالدفء ، الشبع .. والموسيقى ترحل فيك ... ترحل فيها ... لكن الكتابة صبية مغناج مهزار ((تدنيك وتبعدك))

مِنك إليك

مِنك إليك

الذاكرة مكان المعدة

المعدة مكان الذاكرة

الذكريات

كخصلاتك المتساقطة

لا أمل .....لاأمل

استنجد بكتبك القديمة علّها تعينك على إكمال النص كما أعانتك نصائح صديقك الطبيب على إكمال مشوار عابر مع صبية عابرة ...

لكنه زمن مضى

ما كل صياد يصيد

البحر صار يحب ما في جوفه

يحميه في أعماقه

يطعمه في أحشائه

لملِم شباكِك ... عدُ إلى تلك المدينة

لملِم شباكِك ... عدُ إلى تلك المدينة

اصنع شراكا

للطيور الداجنة ...

إن كنت ماهرا .. صبورا نجحت ...

لا تبع صيدك لتجار الطيور ... تعلّم أن تكون طاهيا وتبيع صيدك بعد الطهي في سوق المدينة .... هذا يضاعف ربحك ... ثابر لا تمل

.... احلف أغلظ الأيمان كاذبا لا ترتعش ... صادق اللصوص لاتخف ... تقرَّب من القوادين لا تحترس ... كن كطيورك الداجنة تدنو منك (الكولا وأخواتها)

جاء يعلن صدق نبوءتي ويتساءل ومن يدفئ هذا القصر المنيف قلت : صبية في عمر احفادك ...قال إن معيني قد نضب أو كاد ...

قلت (ياحاج) (الماريننز أوالمايونيز) ما الفرق ...

وقرأت (وجعلنا من الماء كل شيء حي)

حدق في تساؤل بليد .....

قرأت مرة أخرى (وجعلنا من الماء كل شيء حي) فاستغفر وحوقل وانحشر في سيارته الفارهة بادئا بمؤخرته ... قبل أن يغلق الباب منحني ابتسامة لا طعم لها ولا لون وكانت دهشتي عابرة ....

وحيدا امتطيت طريقي إلى أطراف المدينة وصلت متعبا جائعا فكفاني القليل من الخمر وآويت إلى فراشي مطمئنا ....

كنت راغبا في البقاء بالمنزل غير قادر على الخروج منه ... فتأرجحت بين المضجع والطريق ... قرأت ما استطعت ... أكلت ما وجدت ... نمت قليلا وحلمت مستحيلا عندما تهيأت الشمس للرحيل كنت أمتطي طريقي المعتاد إلى أطراف المدينة .

يناير ٩٤

طرابس / ليبيا

لوحات

١- يا.......................

٢- حلم

٣- موقف

٤- هو ....هي

٥- رائحة -أ-

٦- رائحة -ب-

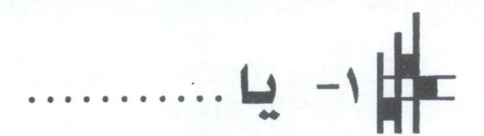
٧- تشكيل

٨- M.S.B.

٩- حُرّاس الليل أو (نجوم القايلة)

١٠- قول

١١- حوار



١- يا ....

زمن للتواصل .... زمن للرحيل

زمن لا نعرف فيه الفرق

بين الآن والأمس

هكذا انقضى العمر

في بلاغة الخِطابِ

حبلٌ أمتدّ من شرايينِ

القلبِ إلى سراب

حاول الظهرُ أن يستند

فكانت جدران الزنازين

ومقاعد الانتظار

حاولت الأيدي أن تتشبث

فكُنتِ إلى حين

ثم أشرعة لا قرار لها

هكذا وُلدتُ ... راحلا مقيما

موسوما بالنفي

هنا وهناك ....يا ......

لم أعرف لمن اقول فاستسلم سمعي لمن يقول فكانت أغنيات بطعم الليمون

(واللبن الحامض) ذَكّرتني أيام (الحُمى أُم بَردْ) في طفولتي .... ازداد ارتباكي وخوفي فتسلحتُ بوجبة (ثقيلة) .... ملابس أنيقة .... ابتسامة حيادية وأنا ألقي التحية على رئيسي في العمل ...

زمن للعمل،

زمن للموت ،

أو زمن للنسيان .....

هكذا أمضي يا ..... لم أعرف لمن أقول فتذمرت من الطقس الحار وأنا العن المجاري والبلدية ... أيّدتني بعض الأصوات والملامح ...جمعتها في كفي كعجينة (أعني الأصوات والملامح) ووضعتها في جيبي ... انبعثت رائحة غريبة ... تطلّعت لكفي ... بدا متسخا ... زمن للنظافة ...

مثل الـ (Signal 2)

مثل الشامبو ..

وعرفت لمن أقول وبصوت جهوري ورباطة جأش قلت

لكن الحروف ظلت سابحة في الفضاء بين طرف لساني وطبلة أذنه ثم بدأت تتساقط كقطع نقود معدنية على حوض غسيل علته رغوة الصابون ... حين فرغت من غسل وجهي تبين لي أن بعضها سقط خارج الحوض فبدأت في التقاطها كاف .... سين .... ألف ...... ميم ... الف ....لام .... ت ... ر ....ألف ..... ب ..... ي ....

١٩٩٤/٧/١١

طرابلس / ليبيا

٢- حُلم

قليلون جدا هم الذين شاركوا في تشييع فاطمة بِتْ التوم ... قليلون أيضا هم الذين استمعوا باهتمام لحكاية الحلم الذي رآه محجوب بعد رحيلها .. رأى طفلها الرضيع يحمل فأسا ويقطع الشجرة الكبيرة التي يعقد العمدة محكمته في ظلها ....

- قال إمام المسجد .... أضغاث أحلام
- قالت حاجة سكينة .... اللهم اجعله خيراً ...
- أستاذ محمود قال : حكاية غريبة .
- وظل مرجان المعتوه يقهقه وهو يضرب برجله اليمنى على الأرض ويشير بيده اليسرى ناحية الإمام ... وحين اشتدّت نظراتهم إليه ... هرْوَلَ في اتجاه النهر ...

٣/ ١/ ١٩٩٤ ....

طرابلس / ليبيا

٣- موقف (١)



(وللآخرة خير لك من الأولى) صدق الله العظيم -

(سورة الضحى الآية ٤)

أنا لا أكذب على نفسي

ولا أكذب على الناس

فكيف اكذب على الله ؟؟

راودتني امرأة لا منصب لها ولا مال ... متوسطة الجمال ....فهيأتُ مكانا ... راودني صبي عن نفسه فلعنته .

(يقولون عندنا في المثل – صاحب بالين كذاب) وأنا موقن من صدقي ولكنّي لم أحس بالذنب عندما قابلت مطلقة الحاج خلسة .... ولم أكن أنافق أحدا حين صليت خلفه في المسجد ... حدث هذا مرارا ... وما زلت في الأولى أغرق وللآخرة أمد حبال الصبر والرجاء ....

٧/ ١/ ١٩٩٤م

طرابلس / ليبيا

٤- هو......... هي



حبات العرق على جبينك وأصابعي المرتعشة لحظة قد تمتد إلى القلب مباشرة أو تنغرس كمدية حادة في جسد العمر...

ما ذا يعني هذا ؟؟؟ .... قالت .....

قال : قدرتك على الابتسام تفضح ترددي وخروجي قبل الأوان

قالت : ....

قال : بحثت كثيرا ....

قالت : ولم تجد الأمان حتى بين أحضاني أليس كذلك !!

قال : ....

قالت : ألأن صدري المكشوف يثير الشك !!

قال : ياصغيرتي لا فائدة ... كان هذا ممكنا ....

قالت : حين كانت الأسئلة أكثر وضوحا

أهذه نهاية مناسبة للنص ....

قال : مالم أجده في الحياة هو الحياة....

ومضى إلى ذاكرته ومَضَتْ إلى طريق جانبي .....

هو : بدتْ أمامه خيارات عديدة ...

نقطة في آخر السطر ....

قرار انتحار

صياغة جديدة للحوار أعلاه .....

قراءة ثانية للأسئلة .....

مدخل جديد للبحث عن حياة ....

خطة للخروج من الذاكرة .....

هي : وضعت الأسئلة في الحقيبة المعلقة على كتفها ومضى ركبُها
يسبقهُ صوتُ حذائها العالي طق ...طق....طق ....طق ....طق ...

ثم تلك الابتسامة ....

وفي ذيل الركب ذلك النداء ....

في ذيل الركب ذلك النداء ....

١٤/ ٧/ ١٩٩٤

طرابلس / ليبيا

٥- رائحة (أ)

كرائحة الغائط في منتصف نهار صيف غائظ ذلك المنتفخ ..كرائحة تفاحة قطفت لتوها تلك البنت .. جلست بجواره في سيارته التي تبدو لي دائما كامرأة في منتصف العمر .. بدينة في غير إفراط .. متوسطة الطول... بادية الثراء .. حدّقتُ فيهما .. انطلقت السيارة مسرعة فسقطت أنفي بحثت في المكان لمن أجد لها أثرا .. بعد فترة وقد غابت السيارة عن بصري كنت أشم رائحة التفاح والغائط .. وضعت يدا مكان الأنف وأشرت بالأخرى لسيارة عابرة .. واصلت انطلاقها .. عدتُ للبحث عن أنفي وجدتها وثبتها مكانها .. بعد مسيرة طويلة جلست استجمع أنفاسي .. عاد المنتفخ فشممت رائح تفاحة بدأت تتعفن ... عبر أمامي ومضى .. عادت البنت حييتها وبدأتُ أحادثها .. بدأت تقترب مني .. لم اشم رائح ..طال الحديث بيننا اقتربت منها أكثر لم اشم رائحة اقتربت حد الملامسة .. الطمأنينة في عينيها شجعتني فقبلتها وجدتها

(ماسخة) لا طعم لها .

قلت : ذلك المنتفخ سلبك الطعم والرائحة اسبَلَتْ عينيها خجلا وابتعدتْ .

٢٦/ ٦/ ١٩٩٤ طرابلس – ليبيا

٦- رائحة (ب)

رائحة ليست نتنة تماما ، لكنّها تبعث فيَّ الضِيقَ وتدفعني للخروج في أي اتجاه في أي زمان ... ذلك المرحاض والمكان الضّيق ... الإحساس ذاتـه تملّكنـي وأنـا أستمع لإذاعتنـا أو أشـاهد التلفـاز وحين ترتفـع الأصوات في الأعياد الرسمية وبيوت المآتم والأفراح بثرثـرات كقطـع الزجاج بين خشونة الطريق وكعوب الأحذية .. ضجر .. ضجر .

(أخرج من أعلى ومن أسفل) اختبر حالات كثيرة علَّ ما بي حالة عارضة لكن لا جديد ......

ذات مساء وأنا مع صديقتي قمت بتجربة في سلسلة تجاربي لأتـيقّن - حشرتُ أنفي بين ..... ورفعتُ رأسي متأملا مستنشقا .... اتسعتْ عيناها دهشة حشرت أنفي مـرة اخرى فضـمّت رأسـي بكفيهـا .... رفعت رأسي وأنا أهمُس ..... يا للروعة إنه العكس تماما .....

ما بك ؟؟ قالت ...... ماذا تعني ......

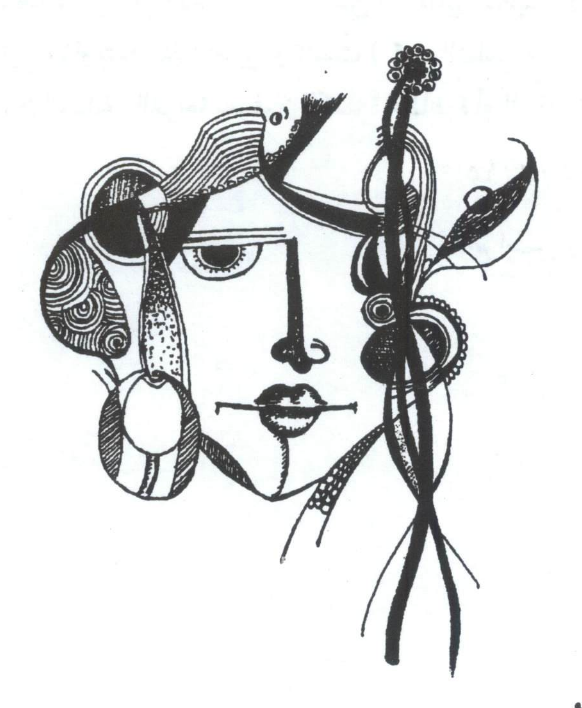
قلت : لا شيء المهم أنه العكس تماما ...... ليتني أتحصن هنا أبدا

قالت : (..... وكل نعيم لا محالة زائل)

قلت : (كذبت فإن نعيم اهل الجنة لايزول)

٢٦/ ٦/ ١٩٩٤ طرابلس / ليبيا

٧- تشكيل



كُنت أُحاول رسم لوحة لحركات الأعراب عندما اقتَرب موكب السيد الوزير .....

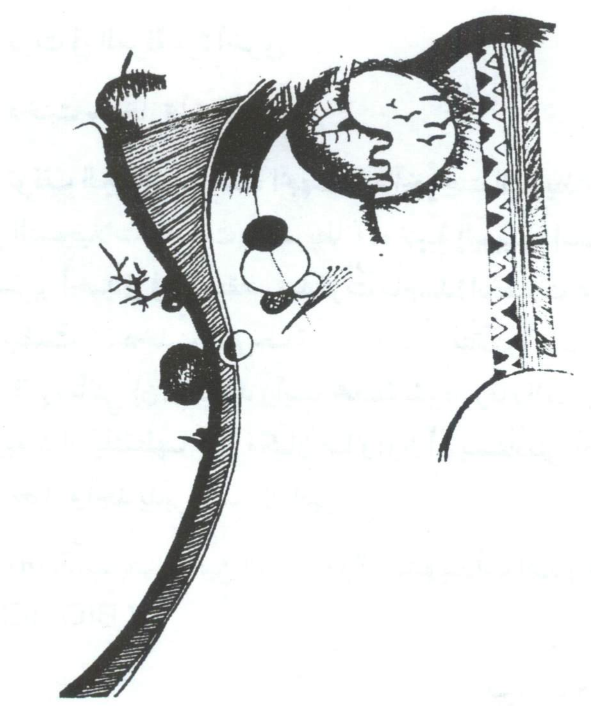
أول من هرول في اتجاه الشارع الرئيسي كان صبي المقهى - رسمتُ قميصه الذي رتق في أكثر من مكان لكنه لم يستر مؤخرته تماما (مفعول

به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره) مرّ موكب الوزير أمام المقهى رسمت فمه المطبق تحته رسمت دائرة كبيرة تتوسطها دائرة أصغر .... فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة .... (وضحكت كما لم أضحك من قبل) ثم رسمت خطين متقاطعين بحيث يصنعا زاويتين حادتين وزاويتين منفرجتين وكتبتُ (كل الناس هنا حتى الذين يجهلون الكتابة والقراءة يعرفون الكسرة الظاهرة أو المقدّرة على آخره)

١٥/ ٧/ ١٩٩٤

طرابلس / ليبيا

٨- M.B.C



(مارلبورو) - السيجارة التي كنت أدخن.... بلا مناسبة حزنت وبلا مناسبة فرحت وأنا أستمع للمغنية (Sandra) اكتشفت بإنتشاء أنني حزنت بسبب المطر وفرحت بشروق الشمس وتوهجها درت في الغرفة وقلبت أرفف الكتب عدت مكاني على الكرسي أمام الطاولة

أكتب (وديعة كنتِ ، وديعة كانت .....

وديعة كنتِ وتلك الأيام ....

كتلك الأيام الوديعة كنتِ ....)

درت في الغرفة مرة أخرى ...

دخنت سيجارة أخرى ....

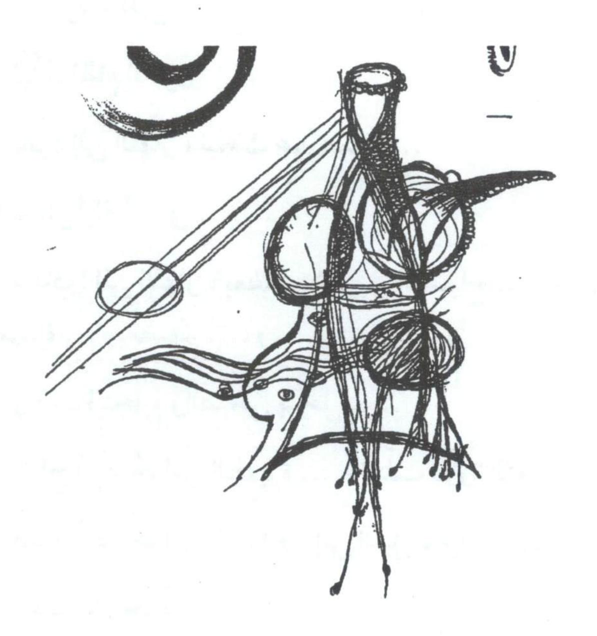
توقف الجهاز عن البث اتجهتُ إليه أخرجت الشريط الأول وقلّبتُ بين التسجيلات وضعت (شريطا) لمغنية إثيوبية، استلقيت على السرير أحدق في السقف تذكرتُ ماجدة انكفأت على وجهي ...نهضت ... دخلتُ المرحاض ...عدتُ متقززا .. دخل أحدهم الغرفة وسألني إن كنت قد رأيت محفظة نقود زرقاء اللون ... قبل أن أجيبه كان يلتقطها من مكان ما ودون أن يستأذنني أوقف جهاز التسجيل وأخذ يدير مؤشر الراديو .

وأنا أقلِّب بصري بين السقف والنافذة بدأت أغفو على دقات (BIG BEN)

فبراير ١٩٩٤

طرابلس – ليبيا

٩- حرّاس الليل



يحرسون النجوم والأصوات المنبعثة من السكون ، مع خيوط النور الأولى يهجّعون... عند المغيب يستأنفون عملهم .... ذات ليل ظلّوا في مواقعهم حتى باغتهم الصباح فأربكتهم أضواء النهار وضجيجه ... تدثروا بالنوم ..... منتصف الليل أفاقوا ....

قبة السماء الداكنة الزرقة خالية من النجوم......

لا صوت يخدش حياء الليل ....

سُرق الليل...... همسَ أحدهم ....

بل هرب الليل

تبدّل نظام الكون

نعود إلى النهار ، نبحث عن عمل ....

ننتظر ليلة أخرى ....

وعادوا إلى النهار ، بعضهم يحرس الصباح ..... بعضهم يحرس الظهيرة ... وبعضهم .... و.........

وبدتْ النجوم والضحى يرحل .....

صاح أحد حُراس الظهيرة .... اختلّت دورة الزمن ......

صاح أحد حُراس الصباح : إلى الليل نعود ....

نجَده بلا نجوم

كأن الليل مكان النهار

أو النهار مكان الليل

النهار .... الليل .... النهار ....ال .....

١٩٩٤/٧/١٩

طرابلس – ليبيا

١٠- قول

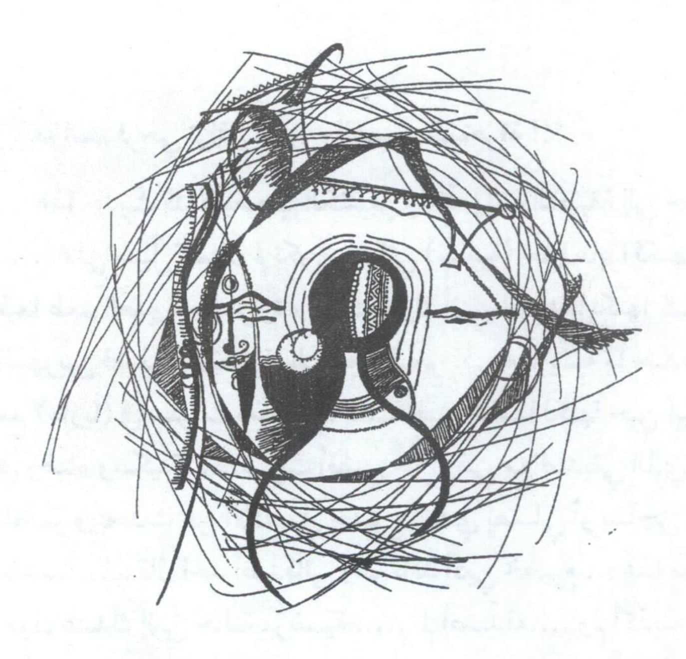
مواسم فرحي ترافق الغبار والشمس المحرقة !!!

هذا حديث قد لا يعجب الكثيرين ولكنَّه يشبه الحقيقة إلى حد كبير ..... على سبيل المثال لم تكن سمرائي (سامية) حلما عابرا لكنّها تجربة فيها طعم العذوبة والمرارة . كانت تُدرك أنني شاطؤها لكنّها كزوارق المهربين فضّلتْ الانطلاق إلى لُجة البحر .... هذا يشبه ما حدث لي مع (ماريا) في سنوات بعيدة.... كنت ألهث خلفها لكنها حين آبت إليَّ في رضاء وسكينة .....صرت أقضي جُلَّ وقتي مع صديقي الذي يعب الخمر ويتحدث عن الأدب في خشوع الذي يصلي أو يناجي روحا مقدسا ..... قال احد أصدقائي وهو ناقد أدبي مخضرم ... هذا موروث تحوّل عندك إلى حالة مَرَضيَة ..... لم أصدّقه.... ولم أكذبه ...... لكنني وجدت طريقي لنصوص كثيرة بالبعثرة في ذاكرتي وذاكرة مجاورة وجدت نافذتها مفتوحة ذات مرة ....

ملحوظة(مهداه إلى صديقات وأصدقاء عرفتهم في زمن كان جميلا وانقضى سريعا)

طرابلس ٢٦/ ٩/ ١٩٩٤ طرابلس / ليبيا

١١- حوار



من السهل جدا على المرء أن يتخيّل ....

حالتي النفسية الشبيهة بسيارة نقل معطوبة لم تمكنني من مواصلة الحديث معه .... لكن الكلمات بداخلي كانت نبضا حارا ......مليئا بالحياة(من السهل أن يكونك الخيال لا أن تكونه ..... إنها حالة عشق لم يعرفها قرننا هذا بعد......)

تسربت رائحة حديثي لشعيراته الدموية فقال :

من السهل جدا على المرء أن يتخيل .....

نويت جادا هذه المرة أن اشرح له وجهة نظري لكني ألفيته منهمكا في قرض أظافره ......راودتني رغبتي القديمة في السفر .... فولّيت وجهي شطر وجهي و........

(تمت)

طرابلس ١٧/ ١١/ ١٩٩٤ ليبيا

عندما بلغ مني اليأس ....

بيقين لا يداخله الشك كان يقول (أن زنزانتي كانت أرحبْ – رطوبتها لم تكن كرطوبة أيامي في تلك المدينة ....هناك كان بداخلي الدفء والحلم وذلك الشيء ..... بكثافة الماضي والحاضر .... الحزن والفرح كالمسافرين العابرين لا يتركون إلا بقايا زاد وملامح وأحاديث مبتورة ..... الآن صِرتُ أرافق أحلاما كالبالونات لا تكبر إلا لتنفجر .... أدمنت الانتظار عند موانئ كل سفنها تمضي وأنا على الرصيف احتضن الحلم البالون فينفجر قبل الأوان .... أنه موت قبل الموت ....

هل أقول .... ياليتني كنت رمادا ؟؟؟

عندما بلغ مني اليأس اشتعلتُ نارا .....

عادتْ سيرتها الأولى .....

مرة أخرى اشتعلت نارا

غَدَت رمادا

فصاح الرماد (ياليتني كنت رمادا)

هبّت ريح فذرتهُ

فكانت كل ذرة تصيح

هل كنت رمادا ؟

هل كُنت رمادا ؟

هكذا تذكّره الأصدقاء القدامى .....

ولبرهة ساد الصمت وعلَتْ المكان سحابة حزن .... تحسس أحدهم الكأس المترع أمامه .....تجرّعه وصبّ للثاني الذي كان مطرقا يمناه على رأسه ويساره بين فخذيه.... الثالث بدا حزينا .... بائسا ... ثملا ..... يترنّح في جلسته. تجرعوا كأسا ثانية وثالثة وعلَتْ ثرثرتهم من جديد ....

في الخارج اختلط نباح كلب وقهقهة صبية عابرين مع بكاء طفل ينبعث من بعيد وكانت أمسية دافئة ....

طرابلس .... فبراير ١٩٩٤

والأرض .....

أُداعب لونَ النخيلَ الذي في الذاكرة ، استدعي ملامِحَ أمي يوم وداعنا ، تسقط كل احتمالات الفرح والنسيان لكن الحزن لا يحتمل فجيعتي ولا أملك القدرة على البكاء ....

ما هذا

حالة يُتم تتشبث بأحضان لا وجود لها ؟

طائر لا يقوى على التحليق وبنادق الصيادين تتربص أينما حاول أن يحط....

لماذا ؟؟؟

لماذا يضيق هذا الكون الفسيح كله بأمنية واحدة ..... وقد كان ما بين كفي وكفها يتسعُ لكلِ الناس ...... كل الأمنيات ...... لماذا ؟

كانت تكفيني من الكأس رشفة واحدة .....

الكؤوس الآن لا تروي ظمأى ولا أرغب في المزيد ....

أُداعب طعم القبلة التي في الذاكرة

استدعي تفاصيل الوجه ....

تسقط كل احتمالات القدرة على الرحيل

إلى هناك أو البقاء هنا

ألوذ بالكلمات فأسمع صوتي ....

كُنت أُغنية ...

تسافر في المدى ....

تُعطي البحر مَلامح الأشجار

السماء ملامحَ الوجهِ المخضب بالعرق

والأرضَ رائحةَ اللقاء

والسيجارة بين اصابعي استحالت رمادا . كدتُ أصطدَم بفتاة مسرعة.... نظرتْ إليَّ شذراً ..... لم اعتذر ... أتقدم نحو الشارع الغارق في الضجيج والفوضى

. أمامي مباشرة

إعلانات مضاءة بالنيون ..... كوكا كولا .... كوداك ... الكمبيوتر لغة العصر... ابتسمتُ وتذكَّرتُ إعلانا يقول ..... الرشاقة لغة العصر ....؟

صرت في مركز الضجيج والفوضى استنشق البنزين المختلط بالغبار ....

ويلتقط جهازي السمعي مقطع من أغنية قديمة

Fly Robin fly.. up .up to the sky

راس لانوف

٢١/ ١٢/ ١٩٩٤ ليبيا

صلاةٌ عليه ... صلواتٌ عليها...

أطالعُ الغبارَ والظلالَ ..... كي أرى سطور حلمك التي رتلتها صغيرا .... كفرتُ بها كبيرا .... الآن لا أراك لا أراها .... لكن هناك آلهة يعبئون الناس في الغبار .... يعبئون الناس بالغبار وآلهة يطوون الظلال (طي السجل) يُلجمني الغضب ... تلجمني الدهشة عندما استفيق .... أطلق في المدى قهقهة عالية ....

بعد حين أحتاج جرعة ماء .... لا أجد ...

أُبلل شفتيّ بماء آسن .... اسير في اتجاه لا أعرف ....

الشمس تدلّني على الظهيرة .... لا أجد ظلا

أسفلت المدينة يقودني إلى أطرافها .... لا أجد الغبار !!

في الليل أمضى ضائعا

كمن يموتُ .... أو يموتُ

لكنني أبايعُ الحياةَ

وقبل أن أقوم للصلاةِ

يجيء من يقول أن الشمس قد مَضَتْ

ولن تعود .....

الرياح قد مَضَتْ ولن تعود .....

وتساءلتُ هل يعود الكون الذي نعرف ؟!

وكأنما السؤال أضاء بصيرتي فتجاسرتُ وأطلقتُ الرياحَ من تلافيف القلب ....

وانتزعت شمسا تركَتَها طفولتي بين أظفاري المتّسخة .....

نفختُ فيها من صبري لم تضيء ....

نفخت فيها من ضجري ...... لم تضيء

تبوّلتُ عليها ..... وأطلقتُ في المدى قهقهة عالية نزعتُ ملابسي ..... توجهتُ صوب النهر ..... هرول أمامي هاربا .... خلفهُ ركضتُ وحين لم أستطع اللحاق به وقفتُ استجمع أنفاسي .... لمحتُ ضوء الشمس في البعيد ...... تحسست مابين فخذي في فرح طفولي وكررتُ راجعا ..... .

كلهم أتوا وانصرفوا قبل منتصف الليل .... بعد أن شبعنا وسكرنا تركت صديقي العجوز يقضي ليلته في تلك الخمارة البائسة .... خرجت أجوب الطرقات كموكب عرس أو مسيرة انتصار ، لكنني حين لمحت ثوبها القديم هناك في ركن الغرفة وتراءت لي وهي تصلي

.... وهي تدعوني للطعام بكيت كما يبكي الأطفال .... وبين الحلم واليقظة .... كنت أرحلُ وأعود ...... ارحلُ وأعود ....

أرحلُ من رحيلي ......

لبضع أسطر على جدار الذاكرة ...

وحفنة ضوء قمري .... دسّها

كفَّيّ الطفل في كُم القميص

أقرأُ آثامي هناك

أحاول غسلها ......

لا يتسع الضوء لقامتي ....

الحروف لا تكفي ..... للخلف أنظر

الطرق مسدودة

أرحل من طفولتي

لعالم التكوين ...... للبداية ....

لا تتسعُ الأرحامُ لنطفةٍ .....

لا تصحبها آهة

أو ثمن .....

من بين افخاذ النساء اخرج

موسوما بأمراض هذا العصر

يحتفي بي الأطباء حينا ....

ثم أعود لشرايين الفقراء ....

بعضي يموت هناك

وبعضي يجد طريقا ....

لشاشة التلفاز الجميلة ..

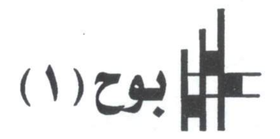
وأوراق الصحف الصقيلة ...

لكن بعضي مازال ملتصقا ...

بجدارة الذاكرة-

٨/ ٢/ ١٩٩٥

رأس لانوف - ليبيا



بوح (١)

-١-

لكن المشاوير المتشابكة حرَّضُتهُ ضد أيامه فما انتبه لأوراق العمر المتساقطة إلا في زمن اشتداد الرياح .... مددتُ الأصابع والعينين للخلف ...

عادّتْ مبللة بالدم والدمع .... استراحت هنا ثم مدها للأمام عادتْ بتعب قليل وبقية من حياة .....

....

لا بد أن أجدها حتى لا تطول حيرتي ويتسارع اندفاعي نحوِ النهاية .....

....

كانت هناك في زمن متسارع يبدو .... لكنه كسول .... وكانت هناك لهفة للحاق .... وهي هنا سؤال .....

....

الإجابة تضيع بين أوراق الصحف العديدة .....

تضيع الإجابة بين عناوين الكتب المكدّسة في المكتبات وعلى الأرصفة ... بين الصوت العالي والهمس .... وتضيع بين بنات بألوان الطيف .... يشبهن لعب الأطفال المصنوعة في الصين وتايوان ويضيع وقت ثمين ....

لكن مساحات الضوء في اللوحة شجعته على الانتظار .... فتزايد عدد الأوراق المتساقطة ....

بدتْ الأشجار كهياكل عظيمة

ومواسم الأمطار لا تأتي

مواسم الأمطار لا تأتي

لا تأتي .....

-٢-

لأن المسافة بينه وبينها آلاف الأحزان بدا له البنفسج رماديا .....

عندما صارت المسافة بينهما آلا ف الأميال .... استرخى في سهولة البلاده وسقطت من ذاكرته أشياء كثيرة .....

في تلك الظهيرة ....

اشتعل الخط الفاصل

بينهما

بضع رصاصات

ودم ممزوج بالطين

وصلاة لإله يمشي

بين الناس على الطرقات

وتذكّر بعض الأشياء .....

لكن فرحته لم تدم طويلا ...

استشهد ظهيرة اليوم التالي وتعطّر المساء بمسك زفافها

القاهرة

يناير ١٩٩٧

رسالة إلى سوزي



عفوا سوزي أن كانت كلماتي جافة... عفوا إن كنتُ لا أملك تلك اللغة (الندية) مثلكم ... كيف أحبك والمسافة بين الفرح السابح بين عينيك والحزن الجاثم فوق عيني دهرا .... مساحات الفرح داخلي تتراجع والحزن من حولي حلقات تضيق تحاصرني .... عفوا سوزي المسافة بين ضحكة عينيك ودقات قلبي ضجر وحزن وسفر !! واليوم

سفري لا يتم .... حولي يتكاثر الناس ، النساء ، الرجال ، الأطفال الكل يحلم بمكان في سيارة تحمله من هجير الشمس .... أحاول معهم .... احلم معهم .... ومعهم أغرق في اكواب الماء المثلّج والموائد العامرة ......

تقترب حافلة وخلفها حشود تُحارب بعضها تنجّلى المعركة عن وجوه باسمة راضية داخل الحافلة وأخرى حائرة تتابعها في يأس وأحيانا بحنق وحسد ... يتكرر المشهد ويتكاثر الناس وتتراكم الأتربة عل راسي وعدسات نظارتي ...

أُحاول تنظيفها أكثر من مرة ....

عفوا سوزي عيناي التائهتان تحطّان الرحال عند وجه نضر رغم الأتربة والحر الخانق .... بغتة يركبني فرح مجنون فهي مِثلكِ أو أنت مثلها (عيناك عيناها ... وجيدك جيدُها لولا أن رجلا باديَ الثراء منها قريب) أوقف سيارة أجرة أضافت حركتها للأتربة العالقة فوق رأسي ....

عفوا سوزي بجواري يجلس رجل ضخم تنتفخ جيوبه بأشياء حادة تؤلمني .... أحاول أن اتزحزح عن يميني فتاة ... بغتة .... رجل ذو شارب كث يرمقني بنظرة أدرك معناها فاحاول أن ابدو مهذبا .... شابان يتحاوران بلغة سيئة .... حرارة الطقس تساعد على انتشار رائحة مزعجة...... لا شيء يدعو للتفاؤل سوى السرعة الجنونية التي تنطلق بها العربة .... بعد قليل ينتهي كل شيء....

بُعَيد العصر حاولت الكتابة ..... عزيزتي .... غاليتي ....حبيبتي وحيدتي ..وأخيرا ....

سوزي بعد كتابة سطرين اكتشفت أن ما كتبت لا يصلح رسالة بل قصة.. من ثم واصلت الكتابة وبعد ساعة من (اللت والعجن) أعدتُ قراءة ما كَتَبتُ بدا شيئا مثيرا للضحك فألقيت الورقة جانبا ونهضت ......

خرجت خلسة كتلاميذ المدارس الهاربين من فصول الدراسة ينعمون بساعة لعب أو مشاكسة شخص ما .... لا يجذبني لمكان إلا هروبي من مكان أواصل سيري يطردني مكان لمكان وطريق لطريق أحس بالتعب وتظل عيناي صحواً لا يعرف اليأس من خلف عدسات نظارتي المجهدة تتسلل النظرات تبحث عن إنسان يبهج، أبدا أبحلق فيهم – لا أكترث لنظرات الغضب أو إشاحة وجه جميل أو تقطيب جبين وضاء ... أبدا تنطلق نظراتي وتحط في أماكن شهية ... هذا عرس لا شك فلأنضم إلى زمرة المحتفلين .... شيئا فشيئا أترقّبُ بعنقي ولكن الأعناق المتطاولة أمامي لا تسمح كتفا بكتف... الكل يريد أن يظفر بنظرة ... إلى هناك فريقين الواحد قبالة الآخر ... وقد تسلحوا بأسلحة منظورة وأخرى غير منظورة .. الآن عرفت لما ذا حاسة النظر عندي أكثر حواسي صحوا ... والنظارة الطبية تسعفني .... بطرف قميصي شرعت أنظفها ... شاب مترف ينظر إلي بقرف.. انكمشت قليلا ... سافرت نظراتي مرارا بين أسمالي وثيابه ولكن لا مفر .. هذا

ميدان غني لممارسة النظر فلأتقدم ... توغلت كثيرا لا أبالي ...توغلت أكثر وأنا أحس بالإنتصار حتى وصلت منطقة حدودية ما بين (الحريم والرجال) وأطلقت حواسي وسطهم.. أنظر...أسمع..

(عن العرس قالوا وعن العريس تحدثوا ... أولاد الـ ....سفله ولكن هناك سفله على شاكلتي وسطهم .... (والله سوّى الفُوت) ... (يايما جاب جيب السرور) حاج حسن قال (والله ولد جدع خلى الوظيفة وقضى ثلاث سنوات بره أهو جا عرَّس عرس ماحَصَلْ في البلد كلها ...) لا شي لا شيء يدعو للتفاؤل إلا ..وتلفتتْ الأعناق تلك الناحية .... الزغاريد تعلن حضوره ممسكا بصيده الذي

(دفع فيهو دم قلبو) ولكن سوزي ؟؟؟

(كان ياما كان أبدا هناك عنتر وعبلة والأميرة والسلطان ولكن منهم لن أكون .. فقط هذا يساعدني على إكمال القصة)

لا شيء يدعو للتفاؤل إلاّ السرعة الجنونية التي تتبدل بها الأشياء ... أتراجع ابتعد عن المكان ضجيج الحفل يخفت رويدا ... رويدا وقبل أن يتلاشى تماما يتناهى إلى سمعي صوت من الإتجاه الآخر .... بدأ يرتفع قليلا .. قليلا .. حتى صار ضجيجا ... عُرس آخر ... سوزي أخرى ..... أسرعت الخطو نحو أطراف المدينة تطردني الكلاب من الأزقة الضيقة إلى الشوارع الفسيحة يعيدني رجال الأمن من الشوارع الفسيحة إلى الأزقة الضيقة وبين تلك وهؤلاء ترنحتُ ساعة من الليل حتى وصلت منزل صديق قديم كُنت أحكي له والنشوة

تسري فينا ونحن نرسم من ضـوء القمـر عـوالم لا توجـد إلا في ذلـك المكان وتلك اللحظات ....

قال إنك تجيد الحكايات الحزينة ....

قلت : لأنني اسعى للفرح بجد وصدق ....

قال (ساخرا) : هذا ما يفعله كل الناس ....

قلت : ... قد يسقط الصدق في سعيهم الحثيث نحو الفرح

صمت ثم ردد سوزي ..... سوزانا .. تذكرت (قال مبتسما)

في الشارع الثالث من هنا كوافير اسمها (سوزان)

قلت : وبقالة سوزي

قال : وسوزي يصلح إسماً لفيلم وضحك ضحكة قصيرة وقال : ثم ماذا قلت : سأبحث عن سوزي أخرى .....

ساد صمت طويل وفي أذني صدى تلك الأيام ....سوزي

سوزانا وكل جديد لم يكتمل بعد ...... سا ...... سو ...... سام

أم درمان – ١٩٨٧ السودان

أحمد الآخر



يلبس قميصا يصل ركبتيه ... بلا أزرار يكشف عن سروال ممزق متسخ وجسم نحيل .... حافيا .... يسير في الشوارع وحيدا وأحيانا في صحبة صِبية وآخرين في سِنهِ .... قطع القماش في أيديهم أو على أنوفهم ... يستنشقون (البنزين) في سعادة .... يتسكّعون أمام المطاعم يتصيدون بقايا الطعام من على الموائد يهرولون هاربين ... تلاحقهم الصفعات واللعنات ....

يتذكر تلك الأيام . قبلَها قضى زمنا بتلك المستشفى وحيدا مع أمه المريضة ... لم يعاني هناك في طلب المأوى أو الطعام ... يفترش أرض الحجرة أو ينام جوار أمه ، والطعام تجود به نساء بدينات في ملابس نظيفة يتأملهن بخليط من الخوف والحب ..... بعد موت أمه غرق في دوامة حزن وارتباك .... احتضنته بعد ذلك الطرقات ... سعد بصحبة طيبة في شوارع المدينة وأزقّتها اعتاد حياته الجديدة .... الطرقات .... سطوح المباني .... مجاري دافئة وبعيدة عن عيون الفضوليين ..... وصَورة باهتة لتلك السنوات البعيدة ..... عندما اعتلوا ظهر اللوري من تلك القرية ..... لا يذكر حتى اسمها ... كانوا ثلاثة لا يعرف من أمر الثالث شيئا من هو ؟ .... وأين ذهب ... ومتى ... يحاول أن يتذكر وتظل الصورة باهته في ذهنه....

شبَّ عن الطوق أميا قوي البنيان عمل في مهن عديدة وتردد على الحراسات والسجون كثيرا ولكن ابدا لم يك قاتلا وحيدا ... في زنزانة رطبة ... أول مرة ينتبه لحقيقته .... وحيدا ... مشردا ... ليس له في هذا الكون غير ميمونة، وميمونة سرد شبيه بتاريخ أحمد ....

حكمتْ عليك المحكمة بالإعدام شنقا حتى الموت !

مر وقت طويل قبل أن يعي أحمد حقيقة ما حدث وقبل أن تصدق ميمونة أنها ستعود وحيدة في مدينة أخذت منها كل شيء ولم تعطها غير أحمد ولشهور معدودات ..... في شهرها الثمن كانت ..... نحيلة شاحبة .... أوصاها أحمد وهو يودعها (كان جا وليد سميهو أحمد

وكان بنيَّه....) وأجهشت باكية وراحت في نحيب متواصل واقتاده السجان بعيدا ..... بعيدا ....

قالت للطبيب وهي ترتجف (ياود الحلال الوصية في الذمة حلفتك بي النبي كان حصل لي شيء سمو المولود أحمد وكان بنيه....) وراحت في غيبوبة نقلوها على أثرها إلى غرفة العمليات....

نشأ الطفل في ملجأ رديء .... وبعد سنين عرفت شوارع المدينة أحمد آخر لكنه يقرأ ويكتب ويقاد إلى السجن أحيانا)

أم درمان ١٩٨٨

الحوار الذي .....!

إشارة :

(ولِدتْ بعض هذه الكلمات في العام ١٩٨٧ بمدينة أم درمان ، لم تكتمل ولم تمتْ .. ظلتْ تحت رماد الذاكرة .... وفي القاهرة أزاحت رياح بعض الرماد فبدت لي تلك الكلمات ... وحين لامست أصابعي صلصالها تجدّدت الحياة ....)

عندما اتسعت البيوت لبذاءات الجهلة ونصائح العقلاء ، اتخذ حذاءه سكنا ، هكذا سقط إسمه من كشوفات التعداد السكاني ، وفي طلب الوظيفة ترك خانة العنوان خالية ... الموظف الذي اجرى المعاينة كان يُلِح في السؤال عن مكان السكن ...ظل هو صامتا .... وعندما تكرر السؤال ..... أشار لحذاءه وهو يبتسم...

وهكذا خرج منهما بنقص العقل والحياء وهو يردد : المحطات ملاذي ، لكن الليل يأتي ... الطرقات ملاذي ... لكن الليل يمضي ... بين ليل وليل ابحث عن ملاذ .. طَرَقَ بوابة الليل ... وجده يسرق دفء الطرقات تتدثر بالخوف .....

طَرَقَ بوابة النهار وجده يسرق هدوء المحطات واسترخائها ...

تتدثر بالتعب والضجيج.....

« هذي بيوتي التي ضيّعتَها الحقائق الوقحة ، قال وراح يحلم بحلم طيب ، المسافة تمتد والحلم يركض مبتعدا ...

ولأنه يدرك أن « ثمن السانلوتش » لا يساوي كل هذا الجمال ، باع هدايا محبوبته وتوكأ على «بضعة أرغفة » والمسافة تمتد ... وأضواء المدينة الساطعة استحالت في ارجاء قلبه ظلمةً دامسة .....

البنات الجميلات ...

يدنّينَ لعينيه ... صورا باهتة

جرثومة الصمت التي سكنته اسكتت الضجيج .... الغناء

الندامات العالية

....

....

الحوار الذي بين الأحذية وغبار الطرقات

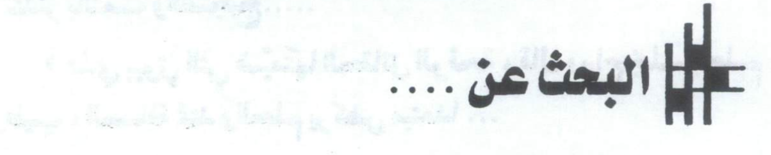
آخر لحن تبقى.....

« وكلما أخلع زوج الحذاء أراهم هناك .... أضرب الزوج الأيمن بالأيسر

فيتساقطون مع بقايا طين أو وحل »

أم درمان ١٩٨٧

القاهرة ١٠ ديسمبر ١٩٩٨



البحث عن ....

(١)

إغفاءة قصيرة .... تجولتُ في أنحاء حلمي الرمادي حينا والرمادي حينا آخر .. سعدتُ بلحظات ضياع قصيرة ثم احترقت في سنوات التيه ... عُدتُ رماديا كحلمي .... تحت شموس لاهية ....وسط جموع تسعى بين الركض واللهاث أبحث عن دفء ....

لحظات الدهشة والخوف والقلق انطفأ بريقها بين مواسم الأقدام والفرار ثم ترسّبت في قاع الذاكرة....

صدئة ....

باهتة ....

وباردة ....

الشجر يسافر في اتجاه الحياة....

أحلامي تحملها أحقادهم في اتجاه الإنحسار والإنكسار والصمت .....

أبحث عن طعم جديد ..... لون جديد ..... دهشة أكبر من فجيعة القنابل والصواريخ ((متعددة الموديلات .... متعـددة الجنسـيات)) ....دهشة أكبر من فجيعة(الهامبورجر) والكلاب المدللة التي تنام بين أحضان الفتيات والسيدات

(وألسنتها .... الكلاب أعني – تساوي ابيك وجدك يا أستاذ)

أبحث عن....

وعن ......

وأعود بتهمة جديدة ..... خيبة جديدة .....

والبلادة تحاصرني .....

قالت لي ذبابة دون أن تفتح فمها مالم أسمعه من خطباء هذا الزمـان رغم أصواتهم العالية...

جالت بخاطري فكرة .....

طارت الذبابة ....

طارت الفكرة ......

تأملت (المبيد الحشري الفعَّال) وضعته جانبا وعطست حمدتُ الله وأنا اهش الذباب بيد وأتناول بالأخرى كوب الليمون .....

(٢)

شيش .... بيش .... يك .... إغفاءة أخرى .... بين صيحات النادل وأصوات رواد المقهى تعالت ضحكاتنا حتى كدت أن أصدّق أنها حقيقية .... الكثيرون لا يعيرون المذيع الأنيق اهتماما ..... انفجار في مدينة (................) قتلى .. جرحى .... وقد بلغ عدد اللاجئين ..... وقاعات فارهة .... ربطات عنق زاهية الألوان..... مذيعة النشرة الجوية كاد صدرها النافر أن يخرج من الشاشة الصغيرة .... في صوتها غنج .... ثم سهرتنا مع الفيلم الأجنبي (........)

العالم هذا الإسبوع .....

نواصل بعد الفاصل الإعلاني .....

وسيجنال تو ((Signal 2)) هو الأفضل ......

وميتسوبيشي (Mitsubishi)

هي الحل !!!

دخان السجائر والأراجيل يساعدني على طرد الذباب .... شيش ... بيش ..يك

صوت الأذان لصلاة العشاء يتناهى إلى المكان .....

البعض يتركون مقاعدهم ليلحقوا بالصلاة .... البعض منهمك ..... في ارتشاف الشاي .... التدخين ... ورواد جُدد يتجهون

صوب المقهى....

وأشهد أن محمدا رسول الله......

تتداخل الأصوات

شيش .... يك .....

حي على الفلاح .....

واحد شاي .....

شيش يك ....

موجز الأنباء ....

في عطلة تستغرق يومين.........

الله أكبر ....

يك ....شيش.....

تنفيذا لقرار الأمم المتحدة (رقم ....)

لا إله إلا الله .....

(ميتسوبيشي هي الحل !......)

.... إثنين شاي .... واحد حليب ..... شيش بيش ..... تجولت في انحاء المدينة وانتهى بي المطاف إلى ركن تحت الخاصرة ...... فكانت فرحة عابرة .....

(٣)

أبحث عن تجربة حقيقية ، لها معنى ..... لها عمق .....

مرت الأيام دون جدوى .....

مرت الشهور دون جدوى .....

بعد عام قلمت أظافر الرجلين واليدين .... غسلت ملابسي الداخلية(النظافة من الإيمان) ......

(٤)

ما زلتُ أبحث عن تجربة حقيقية لها معنى .... لها عمق والسنوات تمر دون جدوى .... بعد سنوات طويلة غسلت شعر الرأس بصابون الغسيل ... أواني الشاي بالشامبو .... شربت الشاي ودخنت سيجارة .... هل لاحظت الفرق ؟

(خد الحكمة من أفواه المجانين)

(٥)

ما زلتُ أبحث عن تجربة حقيقية ....

موظف المعاشات أربك خططي ، فعدتُ من الذاكرة (ج) إلى الذاكرة (أ) أجول في الأسواق ، أسعى في الأرض ابتغي من فضل الله ..... وعودة مؤقتة للذاكرة (ج)

(٦)

مازلت أبحث عن تجربة حقيقية لها معنى .... لها عمق وأبعاد ... يبدو أنني وجدتها .... كانت البداية في فيلا المغني الصاعد (..............) وبدأت أدرك .... (العالم بين يدينك)

و(كُلوا من طيبات ما رزقناكم)

(٧)

إغفاءة لم تك قصيرة ... تجوّلت في انحاء حلمي المتعدد الألوان حينا... العديم اللون حينا آخر ... اجتهدت في البحث عن تجربة بالوان الطيف ففاجأتني عاصفة وأنا بين الصحراء والبحر ....

استعدتُ الوعي عند ساحل البحر ... غسلت وجهي ... جلست في انتظار «زوارق الإنقاذ»

أعادتني لمدينة بدتْ كالأطلال ... أعرفها ولا أعرفها .... حاولت مراجعة ترتيب وجودي بالنسبة للذاكرة.... أو ترتيب وجود الذاكرة بالنسبة لي .. كنت في منتصف الطريق بين الذاكرة (ج) والذاكرة (ب) ركضتُ في اتجاه الذاكرة (ج) لم أجدها.....

ولم أتبين طريقا للذاكرة (أ) .....

(٨)

الطبيب الملتحي قال لي (بعد أن استعاذ بالله واستغفره)

- أنت مصاب بداء التواطؤ مع الغرائز !!!!

- وكتب لي وصفة طبية .... دخلت سوق المدينة أسأل...وجدتُ لبن الطير فرحتُ .....

وجدت أمعاء النملة.... ازداد فرحي ....

وجدت التفاح الهندي .... لم أستطع دفع ثمنه ....

استعنت بمصاب مثلي ... يملك عشرات أضعاف ما أملك ... لم يستطع دفع ثمنه ....

استعنا بثالث ورابع ولم نستطع دفع ثمنه .....

- وجدت فتاة شقراء ذات شامة ..... تعرفتُ عليها وتطلعتُ في شهادتها الصحية ....

- (H.I.V- Reactive)

- ابتسمتْ

- ابتسمتُ

- تأبَطَتْ كلبها

- تأبطتُ هرتي ...

- ابتعدتْ....

- وقفتُ أروي للناس أقوالها ....

نوفمبر ١٩٩٥ – ليبيا....طرابلس

الفهرس



